الباب الثانى

الحقوق العامة
والحقوق المالية للمرأة

تمهيـــد :

تكلم الناس كثيرًا ، قديمًا وحديثًا ، حول حقوق المرأة فى الإسلام ، فمنهم من يزعم أن الإسلام اهتضم حقها ، وانتقص مكانتها ، وجعلها ذات حظ أدنى ، وحياة ضيقة محدودة ، ثم سلط عليها الرجل يتزوجها حين يريد ، ويطلقها حين يريد ، ويفردها إن شاء ، ويضم إليها إن شاء .

ومنهم من تأخذه الغيرة على الإسلام وما يعرف فيه من تعاليم تسمو بالمرأة إلى أقصى ما تستعد له من درجات الكمال ، فيكتب المقالات والفصول المستفيضة ، وقد لاتعدو على كثرتها وطولها ناحيتين أو ثلاثاً من هذه النواحى الكثيرة التى عرض الإسلام فيها للمرأة ، ووضع لها فى كل ناحية منها تشريعاً أو إرشادًا لاتطمع المرأة المعتدلة ذات الثقافة العالية أن يكون لها من الحظوة والعناية مثل ما نجده فى تلك التعاليم الإسلامية من حظوة وعناية .

وعندما نقرأ كتاب الله الحكيم ـ القرآن الكريم ـ ونتتبع أبرز مواقفه فى جانب المرأة نجده وحده خير ما يُصور للناس عناية الإسلام بالمرأة وحظوتها عنده ، وليس بعدَ كلام الله كلام ، ولا بعد تشريعه تشريع ، فهو الحَكَم الأعلى ، ومصدر التشريع الذى يحكُم على غيره ولا يحكم الغير عليه ، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول : [فَضْلُ كَلامِ الله عِلى سَائِرِ الكَلامِ كَفَضْلِ الله عَلَى خَلْقِهِ] .

لقد عرض القرآن الكريم لموضوعات المرأة فى كثير من السور ، منها : سورة البقرة ، وسورة النساء الكبرى ، وسورة المائدة ، وسورة النور ، وسورة الأحزاب ، وسورة المجادلة ، وسورة الممتحنة ، وسورة التحريم ، وسورة النساء الصغرى المشهورة بسورة الطلاق .

وبعد أن عرضنا فى الباب الأول لحالة المرأة فى عهود ما قبل الإسلام وما وصلت إليه من ذلة ومهانة ، نعرض فى هذا الباب لمحات عما جاء به كتاب الله العظيم ، وسُنة رسوله الكريم ، من حقوق عامة للمرأة فى مختلف المجالات .

الفصل الأول

الخلق ـ التكاليف ـ الاعتقاد

أولاً : خَلْق المرأة والرجل من أصل واحد :

(أ) خلق الرجل والمرأة من نفس واحدة :

تحدث القرآن الكريم عن الأصل الذى تكاثر منه الإنسان ، وجعل المرأة شريكة الرجل فى تكوين ذلك الأصل ، وجعله نعمة توجب على الإنسان تقوى الله ومراقبته ـ عز وجل ـ حيث يقول جل شأنه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1]

فالمرأة والرجل قائمان على أساس الوحدة فى الأصل ، خلقهما الله من نفس واحدة ، وأعدهما الله وهيأهما ليكونا خلية ونواة للمجتمع ، ويقول عز وجل :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[2]

وقد روى ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم حديثاً جاء فيه :

« أنزلَ الله آدَمَ فى دار ضِيَافَتِهِ ، وهى الجَنَّةُ ، وحيدًا فريدًا ، لا أَنِيسَ لَهُ ، فكانَ يَمْشِى فيها مُسْتَوْحِشاً ، ليسَ له فيها زَوْجٌ يسكنُ إليها ، فنامَ نَوْمَةً ، فاستيقظَ وعند رأسه امرأةٌ قاعِدَةٌ خلَقَهَا الله من ضلعه فسألها : ما أنت ؟ قالَتْ : امرأة . قال : ولِمَ

---

(١) الآية الأولى من سورة النساء .

(٢) سورة الأعراف ـ من الآية ١٨٩ .

خُلِقْتِ ؟ قالت : لِتَسْكُنَ إليَّ . فقالَتْ له الملائكةُ يَنْظُرُونَ ما بَلَغَ مِنْ عِلْمِهِ : ما اسْمُهَا يا آدمُ ؟ : قالَ حَوَّاءُ . قالوا : وَلِمَ كَانَتْ حَوَّاء ؟ قال : لأنها خُلِقَتْ مِنْ شَىء حَيٍّ » .

ولقد بين الله سبحانه حكمة خَلْق المرأة وحكمة الزواج ، فركز الهدف فى سَكَن النفس وطمأنينتها ، وفى المودة والرحمة بين الزوجين ، فقال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

وأمَّا حديث الرسول ﷺ ، الذى يُوصى فيه بالترفق فى معاملة النساء لأنهن خُلِقْنَ من ضلع أعوج ، والذى رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ، فهو : [مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بالله واليوم الآخِرِ فلا يُؤذِ جَارَهُ ، واسْتَوْصُوا بالنساءِ خيرًا ، فإنَّهُنَّ خُلِقْنَ من ضلع أَعْوَجَ ، وإنَّ أَعْوَجَ شىءٍ فى الضلع أعلاهُ ، فإذا ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ ، وإن تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فاسْتَوْصُوا بِالنِّساءِ خَيْرًا] . فهذا تعبيرٌ مجازى ، مثل قوله ﷺ فى الحديث الشريف : [رفقًا بالقَوارِيرِ] . فلا يمكن أن يُفهم على أن النساء مخلوقات من زجاج ، ولا يمكن أن يُفهم أيضاً أن المرأة خُلقت من ضلع أعوج ، فالله سبحانه وتعالى خلق الرجل والمرأة من نفس واحدة ، حيث يقول عز وجل :

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (٢)

فالرجل والمرأة خلقهما الله من نفس واحدة ، فهى ليست مخلوقة جانبية من ضلع آدم، وإنما هى مثل الرجل تماماً ، تحمل نصيبها من تبعة التكليف ومسئولية العمل أصالة ، لا بالتبعية للرجل ، وذلك بمقتضى كمال إنسانيتها واستقلال شخصيتها استقلالاً كاملاً كالرجل .

---

(١) سورة الروم ـ الآية ٢١ .

(٢) سورة الزمر ـ من الآية السادسة

(ب) خلق الإنسان من ذكر وأنثى :

إن ما يقوله علماء الاجتماع من أن المرأة نصف المجتمع ، ولابد أن تتساوى فى الحقوق مع الرجل ، ولابد أن تتحرر وتنطلق . إلى آخر هذا الكلام المعاد والشعارات المكررة - إنما هو فى الحقيقة حق يُراد به باطل . إذا كان ما يقصدونه هو ترك الحبل على الغارب للمرأة تتبرج وتثير الفتنة بين الرجال ، وتزاحم الرجال فى مجالات لا تحتاج إليها ، فضلاً عن إهمال المجالات الأساسية التى خُلقت من أجلها .

إن هؤلاء لايفهمون ما أوضحه القرآن الكريم من حقوق للمرأة فى كافة المجالات . فإذا نظرنا إلى القرآن الكريم فإننا نجد أن الله تبارك وتعالى يتحدث عن الزوجية فى الكون كله :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

فى الإنسان ، وفى الحيوان ، وفى النبات ، وفى الذَّرَّة ، وفى كل ما خلق الله ، نجد أن هناك انجذاباً متبادلاً ، فإن الزوجية قائمة فى الكون كله ، وإذا كان علماء الاجتماع يتحدثون عن المرأة (**أو انثى** فى المجتمع) فإن الإسلام ينظر إلى الكون كله على أساس أنه قائم على الذكر والأنثى ، حيث يقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٢)

ونلاحظ أنه تعالى دائماً يقرن الذكر بالأنثى فى كلامه ، كما فى قوله عز وجل :

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ۞ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۞ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۞ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ (٣)

---

(١) سورة الذاريات - الآية ٤٩

(٢) سورة الحجرات - الآية ١٣ .

(٣) سورة النجم - الآيات من ٤٢ - ٤٥ .

وقوله جل شأنه :

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ (٢)

لذلك فإن القرآن الكريم ينظر إلى المرأة نظرة أشمل وأعمق على أساس أن كل شيء قائم على الزوجية ، بما فى ذلك الإنسان ؛ لذلك فإن تقدير الإسلام للمرأة نابع من النظرة الموحدة للكون فالكون كله وحدة متكاملة خلقها إله واحد ، ورب واحد ، وهى وحدة كاملة فى الأصل والمنشأ والمصير ، والمساواة الكاملة فى الكيان البشرى ، والتى تترتب عليها كل الحقوق المتصلة مباشرة بهذا الكيان ، فحرمة الدم والعِرْض والمال ، والكرامة التى لايجوز أن تُلْمَز مواجهة أو تُغتاب ، ولا يجوز أن يتجسس عليها أو تقتحم الدور ، كلها حقوق مشتركة لا تمييز فيها بين رجل وامرأة ، والأوامر والتشريعات فيها عامة للجميع ، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول :

[كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسلم حَرامٌ : دَمُهُ ، وعِرْضُهُ ، ومَالُهُ] (٣).

فللمرأة حقوق كاملة متساوية مع الرجل ، وعليها واجبات كاملة ، إلا أن مالها من حقوق وما عليها من واجبات ترتبط بالطبيعة الخاصة التى خصها الله بها ، كما أن حقوق الرجل وواجباته ترتبط بالطبيعة الخاصة التى خصه الله بها ، وإن كل حق للمرأة على الرجل يقابله واجب عليها إزاءه ، كما أن كل حق للرجل على المرأة يقابله واجب عليه إزاءها . وهناك قاعدة عامة فى الشريعة الإسلامية ، هى مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق والواجبات ، اللهم إلا ما استثنى بنص صريح .

---

(١) سورة القيامة ـ الآيات من ٣٦ ـ ٤٠ .

(٢) سورة الليل ـ الآيات من ١ ـ ٣

(٣) رواه الشيخان

(جـ) زوج وأزواج فى القرآن الكريم :

وكلمة زوجة لا تأتى فى القرآن الكريم إطلاقاً ، وإنما تأتى كلمة زوج لا زوجة ، كما يأتى الجمع بصيغة أزواج بدلاً من زوجات ، وهذا يعنى تماثل شطرى النفس الواحدة ، فليس كل شطر سوى زوج للآخر ، حيث يقول الله عز وجل :

﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١)

ويقول الله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ (٢)

ويقول سبحانه :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣)

ثانياً : مساواة المرأة بالرجل فى التكاليف والحساب :

(أ) مساواة المرأة بالرجل فى التكاليف :

كما أن مساواة المرأة بالرجل جاءت أيضاً فى التكاليف : من الإيمان بالله ، وملائكته وكتبه ورسله ، وسائر العبادات ، من صلاة ، وصيام ، وزكاة ، وحج . وسائر المعاملات المختلفة .

ووضع الله عز وجل معيار الأفضلية والخيرية والتميُّز ، وهو التقوى ، لقوله تعالى :

(١) سورة النساء ـ من الآية الأولى .

(٢) سورة النحل ـ من الآية ٧٢

(٣) سورة الروم ـ الآية ٢١ .

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1]

(ب) مسئولية المرأة مسئولية خاصة مستقلة عن الرجل :

والإسلام يعتبر النساء مسئولات عن أنفسهن مسئولية خاصة مستقلة عن الرجل ، وهناك آيات فى القرآن الكريم تقرر للمرأة ذلك المبدأ العظيم ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾[2]

وقوله تعالى :

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۞ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴾[3]

فالمرأة فى القرآن الكريم ـ وأمام الله تعالى ـ لا يؤثر عليها وهى صالحة فساد الرجل وطغيانه ، ولا ينفعها وهى طالحة صلاح الرجل وتقواه ، ولو كان نبيًّا ، فالمرأة ذات مسئولية مستقلة فيما يتعلق بشئونها أمام الله عز وجل .

---

(١) سورة الحجرات ـ من الآية ١٣

(٢) سورة التحريم ـ الآية العاشرة

(٣) سورة التحريم ـ الآيتان ١١ ، ١٢

إن المرأة إنسانة كاملة النفس والروح ، وهى مهدية النَّجْدَيْن : إمَّا شاكرة وإما كفورة ، والله سبحانه وتعالى لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى ، وهى حرة مختارة ، مريدة ، تتحمل مسئولية أعمالها وأفعالها من خير أو شر . قال تعالى :

﴿ كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (1)

وإذا كانت المرأة مسئولة مسئولية خاصة مستقلة عن الرجل ، وعن أعمالها ، إنْ خيرًا فخير ، وإنْ شرًّا فشر ، فهذا يعنى أيضاً أن تكون المرأة مساوية للرجل فى المسئولية عن الأعمال الصالحة والأعمال الطالحة بمقتضى كمال إنسانيتها واستقلال شخصيتها استقلالاً كاملاً كالرجل ، وكل منهما مسئول عمَّا يعمل من خير أو شر ، وكل منهما مُحَاسَب على عمله ثواباً وعقاباً .

(جـ) مساواة المرأة بالرجل فى المسئولية عن الأعمال الصالحة والأعمال الطالحة :

أمَّا عن الأعمال الصالحة فنجد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تخاطب الرجل والمرأة على السواء ، فآية سورة الأحزاب بما فيها من جلائل الأعمال وروائع الصفات تخاطب الرجال والنساء على السواء ، مما يؤكد أن المسئولية مشتركة بينهما : فيقول تعالى فى سورة الأحزاب :

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (2)

(1) سورة الطور ـ من الآية الحادية والعشرين .

(2) سورة الأحزاب ـ الآية ٣٥ .

وسبب نزول هذه الآية الكريمة ما رواه الترمذى عن أُم عمارة الأنصارية أنها أتت النبى ﷺ فقالت : « يا رَسُولَ الله ، ما أرى كل شىء إلاَّ للرجال ، وما أرى النساء يُذْكَرْنَ بشىء ، فنزلت هذه الآية الكريمة » ثم يقول الله تعالى فى الآية التالية لها مباشرة :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴾ (1)

واستمراراً للمنزلة الكريمة التى جعلها القرآن الكريم للمرأة نرى القرآن الكريم يعقد بين المرأة والرجل موالاة وتفاخراً فيما يجمعهما من حياة رشيدة ، ولننظر قوله تعالى :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (2)

وفى هذه الآيات ، وفى كل آية نزلت فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر نجد أنها تشمل الرجال والنساء على السواء . وكذلك أحاديث الرسول ﷺ فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ قولاً وفعلاً ـ تشمل الرجال والنساء على السواء ، من ذلك قوله ﷺ :

---

(1) سورة الأحزاب ـ الآية 36 .

(2) سورة التوبة ـ الآيتان : 71 ، 72 .

[والله لَتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ وَلتَنْهَوُنَّ عن المُنْكَرِ ، وَلتَأْخُذُنَّ عَلى يدِ الظَّالِمِ وَلتَأْطُرُنَّهُ عَلىَ الحَقِّ أطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ على الحَقِّ قَصْرًا ، أو لَيَضْرِبَنَّ الله بِقُلوبِ بَعْضِكُمْ عَلى بَعْضٍ ، ثم لِيَلْعَنكُم كما لَعَنَهُمْ] (١)

وإذا كانت القاعدة العامة فى الشريعة الإسلامية هى مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق والواجبات ـ اللهم إلا ما استثنى بنص صريح ـ فكل حق للمرأة على الرجل يقابله واجب عليها إزاءه ، وكل حق للرجل على المرأة يقابله واجب عليه إزاءها . وقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ (٢)

ولم يقل سبحانه : ولقد كرمنا الرجال أو الذكور .

وقال تعالى :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (٣)

فهذه الأيات تتضمن مبدأين :

ـ الولاية بين المؤمنين والمؤمنات بعضهم وبعض ، وهى ولاية تشمل الأُخُوَّة والتعاون على الخير .

ـ ومبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو واجب يشمل كل ضروب الإصلاح فى كل نواحى الحياة .

---

(١) رواه أبوداود والترمذى ، وقال : حديث حسن .
(٢) سورة الإسراء ـ من الآية ٧٠ .
(٣) سبق تخريجها .

أما عن الأعمال الطالحة فنجد أن القرآن الكريم يعقد بين الرجل والمرأة فيما يجمعهما من حياة غير رشيدة ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۞ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾(١)

ويختم الله عز وجل سورة الأحزاب بقوله :

﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴾(٢)

ويلاحظ أن القرآن الكريم ربط بين الشقاوتين ، وجعل شقاوة الدنيا وسيلة لشقاوة الآخرة ، وجاء ذلك فى آيات عامة سِيقَت أحكامُها كما يقول الفقهاء بصيغ العموم التى تشمل الفريقين ، فريق الرجال وفريق النساء على حد سواء ، ولا تختص بفريق دون فريق ، ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الإسراء :

﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾(٣)

وقوله تعالى فى سورة طه :

---

(١) سورة التوبة ـ الآيتان : ٦٧ ، ٦٨ .

(٢) سورة الأحزاب ـ الآية ٧٣ .

(٣) سورة الإسراء ـ الآية ٧٢ .

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ (١)

ومما له مغزاه فى هذا المقام أن الله تعالى أشرك حواء مع آدم عليهما السلام فيما خاطبه به وأمره ونهاه ، فحين أمره أن يسكن الجنة ونهاه أن يأكل من الشجرة وجه إليهما الخطاب معًا ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢)

وحين أنكر سبحانه ما كان من مخالفة أمره وجه الإنكار إليهما معًا :

﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٣)

وهذا مما يؤكد أن المسئولية مشتركة بين الرجل والمرأة على السواء ، فى صالح الأعمال وطالحها .

(د) مساواة المرأة بالرجل فى الثواب والعقاب :

وإذا كانت المرأة مستقلة فى مسئوليتها أمام الله عز وجل عن الرجل ، فهى متساوية معه فى درجات المثوبة على فعل الخير ، ودرجات العقوبة على فعل الشر ، فإذا كان لكل منهما بعض التبعات التى ينهض بها كلاهما فى ميدان متميز ، فهذا لايمنع أنهما

---

(١) سورة طه ـ الآيات من ١٢٤ ـ ١٢٦ .

(٢) سورة البقرة ـ الآية ٣٥

(٣) سورة الأعراف ـ من الآية ٢٢ .

شريكان فى القواعد والأسس والمسئوليات العامة أمام الله تعالى ثواباً وعقاباً ، فالجزاء واحد لكل منهما ، ويتضح ذلك من قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (1)

وقوله عز وجل :

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ﴾ (2)

ويقول المفسرون : إن هذه الآية الكريمة نزلت حينما قالت أم سلمة رضى الله عنها لرسول الله ﷺ : [إنى أَسْمَعُ الله يَذْكُرُ الرجالَ فى الهِجْرةِ ولا يَذْكُرُ النساء] .

فنزل قوله تعالى :

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ﴾

مما يدل على أن المرأة تشعر من قديم الزمن بأن لها حقًّا كالرجل ، وعلى أنها لم تزل منذ القدم تعمل على ظهور ذلك الحق والحصول عليه ، وأنها لاتحب أن تنقضى حياتها وهى فى ظل رجل تخاطب بخطابه وتبشر بتبشيره وتنذر بإنذاره، وعلى أنها تنظر إلى الرجل من قديم أيضاً كشريك لها فى الحياة ، ويؤيد هذا ما روى فى الصحيحين من أن النساء اجتمعن مرة وقلن للرسول ﷺ :

---

(1) سورة النساء - الآية ١٢٤ .

(2) سورة آل عمران - من الآية ١٩٥ .

[غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرجالُ فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ لقاءِ نَفْسِكَ] ، فوعدهن الرسول ﷺ يومًا لقيهن فيه ، فوعظهن وأمرهن .

إن القرآن الكريم سَوَّى بين الرجل والمرأة فى المسئولية أمام الله عز وجل ، وقدَّرَ أن الناس لافرق بين ذكَرهم وأُنثاهم ، يُجْزَوْنَ بأعمالهم ، إنْ خيرًا فخير ، وإنْ شرًّا فشر ، فيقول تعالى فى سورة الزلزلة :

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (١)

ويقول تعالى فى سورة النجم :

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ * وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ * وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ * وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾ (٢)

والله سبحانه وتعالى يبشر كُلاًّ من الرجل والمرأة على السواء الذين يعملون الصالحات بحياة طيبة فى الدنيا ، وأجر حسن جزاءً لهم فى الآخرة ، فى قوله تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٣)

---

(١) سورة الزلزلة ـ الآيتان : ٧ ، ٨

(٢) سورة النجم ـ الايات من ٣٨ ـ ٤٥

(٣) سورة النحل ـ الآية ٩٧

كما وعد الله بتحقيق السعادة فى الدنيا والآخرة لكل من يتوافر فيه شرطان ذكرًا كان أو أنثى ـ والشرطان هما : الإيمان ، والعمل الصالح ، وذلك كما هو واضح فى قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (١)

وقوله عز وجل أيضاً :

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢)

ويساوى القرآن الكريم بين المرأة والرجل فى إقامة الحدود ، فيقول تعالى عن حد السرقة :

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣)

ويقول تعالى عن حد الزنى :

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤)

ثالثاً : حق المرأة فى حرية الاعتقاد :

لقد كفل الإسلام للمرأة حرية الاعتقاد ، فالإسلام لايعطى الرجل سلطاناً على دين

---

(١) سورة النساء ـ الآية ١٢٤ .

(٢) سورة غافر ـ الآية ٤٠ .

(٣) سورة المائدة ـ الآية ٣٨ .

(٤) سورة النور ـ الآية الثانية .

زوجته ، فليس له أن يُكرهها على تغيير دينها ـ يهودية كانت أو نصرانية ـ بل تبقى معه اليهودية يهودية كما كانت ، وتبقى النصرانية نصرانية كما كانت . يقول الله تعالى :

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ ﴾(١)

فلا تتحول واحدة من هؤلاء عن دينها إلى دينه إلا بمحض إرادتها ، فالله عز وجل يقول :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ ﴾(٢)

إلى هذا الحد يحيط الإسلام المرأة بكافة ضمانات الحرية الكاملة فى التصرف ، ولا هيمنة للرجل على زوجته حتى فى حرية العقيدة . فالمرأة لها الحرية فى أن تعتقد العقيدة التى تقتنع بها ، كما للرجل الحرية فى أن يعتقد العقيدة التى يقتنع بها ، فلا يستطيع الرجل أن يفرض عقيدته على امرأته ، وللمرأة أن تعتقد ما ترى كإنسان له حرية الاعتقاد، ويتحدث القرآن الكريم عن نساء كافرات فى بيوت أنبياء ، ونساء مؤمنات فى وسط كفار :

(أ) ضرب الله مَثَلاً للذين كفروا امرأة نبى :

فسيدنا لوط عليه السلام الرسول الذى جاء ليهدى الناس ويحملهم على منهج الله لم يستطع أن يقنع امرأته ـ زوجته ـ بمنهجه ، وظلت مخالفة لذلك المنهج ، وكذلك زوجة سيدنا نوح عليه السلام ، فيقول الله عز وجل :

---

(١) سورة المائدة ـ من الآية الخامسة

(٢) سورة البقرة ـ من الآية ٢٥٦ .

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ (١)

فلا كرامة ولا شفاعة فى أمر الكُفر والإيمان ، وأمر الخيانة فى العقيدة ، حتى لأزواج الأنبياء ، والمأثور فى خيانة امرأة نوح وامرأة لوط أنها كانت خيانة فى الدعوة وليست خيانة الفاحشة ، فامرأة نوح كانت تسخر منه مع الساخرين من قومه ، وامرأة لوط كانت تدل القوم على ضيوفه ، وهى تعلم شأنهم مع ضيوفه ، ويظهر هنا مبدأ التبعية الفردية ، فكل امرأة أو زوجة عليها نفسها بعد كل شىء ، فهى مسئولة عن ذاتها ولن يعفيها من التبعية ، ولم ينفع واحدة منهما أنها زوجة نبى أو صالح من المسلمين ، فمن لم يُسْرِعْ به عَمَلُه لم يُسْعِفْهُ نَسَبُه .

(ب) وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة طاغية كافر :

بعد ذلك يعرض القرآن الكريم القضية المقابلة ، وهى قضية فرعون الذى ادعى الألوهية ، وبرغم ذلك لم يستطع أن يُدخل فى روع زوجته هذه العقيدة الضالة ، قال الله تعالى :

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٢)

ولابن القيم التفاتة جميلة فى تقديم «عندك» على «بيتاً فى الجنة» إذ قال : إن امرأة فرعون قدمت الجِوارَ على الدَّار .

(١) سورة التحريم ـ الآية العاشرة

(٢) سورة التحريم ـ الآية ١١ .

« ابن لى » :

ومن صور الإبداع العظيم لآيات الله البينات أن نجد أن كلمة : «ابْنِ» وردت فى جميع آيات الله البينات مرتين ، وفى كلتا المرتين جاءت بالتعبير القرآنى : « ابن لى » ومن التناسق البديع أن هذا التعْبير القرآنى : ابن لى جاء مرة فى آية مدنية على لسان المؤمنة امرأة فرعون فى قوله تعالى :

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

وجاء مرة فى آية مكية على لسان الطاغية فرعون وهو يخاطب هامان :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ * أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ (٢)

فامرأة فرعون لم يصدها طوفان الكفر الذى تعيش فيه فى قصر فرعون عن طلب النجاة وحدها ، وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة إلى ربها بيتاً فى الجنة : ﴿ رَبِّ ابْنِ لى عندك بيتًا فى الجنة ﴾ ، وتبرأت من صلتها بفرعون فسألت ربها النجاة منه . وتبرأت من عمله مخافة أن يلحقها من عمله شىء وهى ألصق الناس به : ﴿ ونَجِّنى من فرعون وعمله ﴾ . وتبرأت من قوم فرعون وهى تعيش بينهم : ﴿ ونَجِّنِى من القوم الظالمين ﴾ .

إن دعاء امرأة فرعون وموقفها مَثَلٌ للاستعلاء على عرض الحياة الدنيا فى أزهى صورة، فقد كانت امرأة فرعون أعظم ملوك الأرض يومئذ ، فى قصر فرعون أمتع مكان تجد فيه امرأة ما تشتهى ، ولكنها استعلت على هذا بالإيمان ، ولم تعرض عن هذا

---

(١) سبق تخريجها .

(٢) سورة غافر ـ الآية : ٣٦ وصدر الآية : ٣٧ .

العرض فحسب ، بل اعتبرته شرًّا دَنِساً وبلاءً تستعيذ بالله منه ، وتطلب النجاة منه .

وإذا كانت المرأة دائماً أشد شعورًا وحساسية بوطأة المجتمع الفاسد وتصوراته ، فهذه امرأة واحدة فى مملكة عريضة قوية ، امرأة وحدها فى وسط ضغط المجتمع ، وضغط القصر ، وضغط الملك ، وضغط الحاشية والمقام الملوكى ، وفى وسط هذا كله رفعت رأسها إلى السماء وحدها فى خضم هذا الكفر الطاغى . وهى نموذج عالٍ فى التجرد لله من كل هذه المؤثرات ، وكل هذه الصلات ، وكل هذه المعوقات ، وكل هذه المغريات، ومن ثم استحقت هذه الإشارة فى كتاب الله الخالد الذى تتردد كلماته فى جنبات الكون وهى تتنزل من الملأ الأعلى .

وإفراد امرأة فرعون بالذكر هنا مع مريم ابنة عمران التى هى مثل للتجرد لله منذ نشأتها ومثل للطهارة والإيمان الكامل والطاعة - يدل على المكانة العالية التى جعلتها قرينة مريم فى الذكر ، والاثنتان نموذجان للمرأة المتطهرة المؤمنة المصدقة القانتة ، يضربهما الله للمؤمنات فى كل جيل ، وقد قال عنهما ﷺ : [**خَيْرُ نِسَاءِ العَالَمِينَ أَرْبَعٌ : مَرْيَمُ وآسية وخَدِيجَةُ وفَاطِمَةُ**] . لقد وصفها رسول الله ﷺ بالكمال مسوياً فى ذلك بينها وبين السيدة خديجة الزوجة الوفية الأولى للرسول ﷺ ، والسيدة فاطمة ابنة رسول الله ﷺ ، والسيدة مريم أم المسيح رضى الله عنهن أجمعين .

(ج) لماذا حرية الاعتقاد ؟

فالمرأة لها أن تعتقد ما تشاء وأن تقتنع به ؛ لأن هذا الاعتقاد سيلزمها بمنهج ، فلو لم تكن مرتبطة بالعقيدة باختيارها وأُجبرت عليها فسيكون إقبالها على منهج هذه العقيدة غير مأمون ، تُقبل على المنهج أمام الناس وأمام القانون وإذا ما خلت بنفسها تحللت من ذلك المنهج ، فلا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغَيِّ ؛ لذلك فإن الإسلام لا يجعل للرجل سلطاناً على دين زوجته ، فليس له أن يكرهها على تغيير دينها - يهودية كانت أم نصرانية - لأن أساس الحساب هو النية ، فإنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، والنية محلها القلب ، وهى القصد الحقيقى الحر للإنسان ، فالنية والقلب هما أساس الحساب على العمل ، إنْ خيرًا فخير ، وإنْ شرًّا فشر ؛ لذلك ليس

لأحد فى هذه الدنيا أن يكره القلب على مالا يريد ، وقد ترك الله سبحانه وتعالى هذه المنطقة فى حرية تامة ، لأن الحساب يكون عليها ، وحتى يكون الحساب عادلاً يجب ألاَّ تتدخل أى قوى بشرية فى التأثير على القلب أو إكراهه ، بل يكون هذا القلب خاضعًا لإرادة الإنسان الحرة ومشيئته ، حتى تكون هذه شهادة عليه وعلى أعماله . وهذه المنطقة من النفس الإنسانية هى التى لها اتصال مباشر بالله سبحانه وتعالى ، فإن آمنت فإنها تؤمن عن اختيار ، ويزيدها الله هدى ، وإن كفرت فإنها تكفر عن اختيار، ويزيدها الله كفرًا ، لذلك يقول الله تعالى :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ ﴾ (١)

حتى الإيمان الذى هو القمة فى هذه الحياة لا تُكْرَه ولا تُجبر الزوجة غير المسلمة عليه، لأن الإكراه لا نفوذ له على منطقة الاعتقاد ، وهى القلب ، فقد يكره القالب ولكن لايستطيع إكراه القلب ، وبهذا نستطيع أن نفهم معنى قوله تعالى :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾

وقد فهم كثير من المسلمين هذه الآية ـ خطأ ـ أنَّ حملهنَّ على صلاة أو صيام أو حجاب أو أى حُكم من أحكام الدين يُعَدُّ إكراهاً فى الدين ، فلابد من معرفة الآية الكريمة على وجهها الصحيح ، فالدين عقيدة وشريعة ، قلب وقالب ، إيمان وسلوك ، رالعقيدة تبدأ أولاً ، ومكانها القلب ، وفيها نؤمن بوجود الواحد القهار الذى يخضع لإرادته كل من فى الأرض والسماء ، فلكى نؤمن بذلك لا إكراه ، فأنا هنا لى اختيارى ولى حريتى ، ومادمت قد آمنت بوجود الله وأسلمت بحريتى بدون إكراه فيصبح متعيناً علىَّ تطبيق ما يطلبه الله منى ؛ لأنى أصبحتُ مؤمناً به ، فقوله تعالى :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ ﴾

يعنى أن الأمر أصبح واضحًا أمامى ، وقد تبينت ما هو رشد وما هو غَىّ ، وأصبحت من المؤمنين ، ولذلك لايقول الله تعالى :

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية ٢٥٦ ، وقد سبق تخريجها.

وإنما يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾

فهو سبحانه ميز بين مخاطبته لكل الناس وبين مخاطبته للذين آمنوا به ، وطلب منهم تنفيذ شريعته وأحكامه وتعاليمه ، فالإكراه فى الدين مقصود به الإكراه على الإيمان . فإذا آمنت فقد التزمت ، فأنا الذى جئت للحق مؤمنًا باختيارى ، ومادمت جئت إليه مؤمناً به فقد وجَبَ علىَّ احتضان تعاليم الدين والحرص على تطبيق أحكامه والالتزام به ، وعليه فحمل الزوجة المسلمة على صلاة أو صيام أو زكاة أو حجاب أو أى حكم من أحكام الدين لايدخل فى دائرة الإكراه ، وإنما يدخل فى دائرة الوفاء بما التزمت به بحريتها حين اختارت الإسلام دينًا لها وعقيدة .